أهمية الموضوع وتحقيق الكتاب

من المعلوم أن كتاب الله تعالى هو أصل الشرائع الإسلامية، فلذا عني العلماء بآيات الأحكام القرآنية عناية كبيرة، لأنها الأساس في معرفة الحلال والحرام، وما يحتاجه الناس في أمور دينهم ودنياهم.

من هذا المنطلق ظهرت عناية السلف بأحكام القرآن وصار عِلما مدوناً في جملة علوم القرآن الكريم، فأفردت الآيات بتصانيف خاصة، تحت علم من أنواع التفسير اصطلح عليه بعد ذلك بتفسير آيات الأحكام، أو تفسير الفقهاء، أو التفسير الفقهي، وغالباً ما تحمل مصنفاته عنوان: أحكام القرآن.

وبيَّن السمين الحلبي في مقدمة الكتاب عقب الإشارة إلى أبرز من تقدمه بالتصنيف في ميدان أحكام القرآن[١] معالم الجِدَّة في مؤلَّفِه وقيمته العلمية من بين كتب أحكام القرآن المتقدمة مجلياً للناظر المقبل عليه أهميته، وهو ما سأحاول تلخيصه في النقاط التالية:-

أ) تنبع قيمة كتاب القول الوجيز ابتداءً من واضعه، فمؤلف هذا السفر العظيم والمعلم الجسيم نابغة من نوابغ الزمان، وواحد من أفذاذ خَدَمَةِ كتاب الله بعلومه المختلفة، وقد أتيتُ على تعريفٍ كافٍ أثناء الدراسة المعقودة له.

ب) قصَدَ المؤلف -رحمه الله- في كتابه هذا جمعَ ما تفرق في كتب أحكام القرآن الأخرى جمعاً يجعله مُلِمًّا بما فيها، ليكون للناظر المقبل عليه غُنية فيه عن باقي هذه الكتب .

ج) تميَّزَ كتابُ السمين بزيادات أغفلها كثير من أصحاب كتب أحكام القرآن[٢] .

د) تجريدُهُ كتابه مما حُشِّيتْ به بعض هذه الكتب من سائر العلوم الأخرى مما لا صلة له بالأحكام.

---

(١) سيأتي ذكرهم بعد قليل، ص (٨) وما بعدها.

(٢) وهي زيادات متنوعة: فمن ذلك تقديمه لكتابه بمقدمة تتضمن أهم مباحث علوم القرآن التي تخدم استنباط الأحكام وتحرير القول في حدودها، فهو صنيع لم يسبق إليه -فيما أعلم- في كتب أحكام القرآن. ومنها أيضاً حديثه عن الأحكام المستنبطة من ألفاظ الفاتحة كمباحث الإعجاز وما إليها. ومنها اعتناؤه بذكر أقوال المذاهب الأربعة بعد تقرير مذهبه في عامة المسائل، وعدم اكتفائه بمذهبه.

هـ) تجردُ المؤلف في مواطن الخلاف لما يراه راجحاً من غير تعصب لمذهبه (الشافعي) وإيراده النصوص والأدلة على ما ارتضاه من المذاهب والأقوال، ولذا يقول في مقدمته:".. وناقلاً مذهب الشافعي فالمسألة صحيحة وغير صحيحة، ومحرِّراً لذلك من الأمهات".

و) اعتمد السمين في كتابه عند سَوق المسائل الخلافية اعتماداً كبيراً على مذاهب العلماء الأُوَل وهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

ز) من مميزات الكتاب أنه تعرض لذكر عامة الأبواب التي ذكرها دورها في عبارات العلماء من صنوف علوم القرآن التي لها صلة باستنباط الأحكام كالناسخ والمنسوخ لأنه من أهم علوم القرآن، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبيَّن، والظاهر والمؤول، فيذكرها محرراً فيها القول مختاراً من حدودها وتعاريفها ما يراه أجمع وأمنع.

ح) جودةُ عرضِ الكتاب لمادته العلمية وحسن ترتيبه، حيث يذكر الآية ثم يقسم الأحكام المندرجة تحتها إلى مسائل مرتبة بما فيها من أقوال وأدلة، ثم يعمُد عقب ذلك إلى بيان ما صح من هذه الأقوال وما لم يسلم من تبعة الغلط مرجحاً في الغالب ما يراه راجحا صحيحاً.

ط) من مميزات الكتاب أيضًا عِظم حجمه حيث يبلغ مخطوطاً عشر مجلدات بخط المؤلف. وكبر حجم الكتاب وإن لم يكن سمةً على أهميته ابتداءً؛ إلا أننا متى عرفنا المؤلِّف واطلعنا على كتابه تبيَّن لنا حينئذٍ أنه مرجع واسع في بابه، وإنْ كبر حجمه يُعرب عن وفرةِ ما أُودِع فيه من علوم وفنون ومسائل[1].

(١) ينظر: القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز ص (١٠٠) تحقيق عبد الرحيم القاوش، رسالة ماجستير.